



الشيخ محمد مهدي الآصفي

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات

الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: .... حدود الله وتخطي حدود الله

المؤلف:... محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الأولى: .... ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م

الكمية.. ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

حدود الله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾

البقرة: ١٨٧

حدود الله

فيما يلي نذكر طائفة من الحقائق التي يقررها القرآن لتوضيح معنى حدود الله من خلال كتاب الله، ثم ندخل بعد ذلك في تفاصيل البحث عن خصائص الالتزام بحدود الله في الدنيا والآخرة، ومباحث أخرى تتعلق بحدود الله.

وإليك فيما يلي هذه النقاط:

١ ـ يقرر القرآن الكريم أن الكون كله لله، ليس له فيه شريك، وهو سبحانه يفعل ما يشاء، ولا يسأل عما يفعل وهم يُسألون. يقول تعالى:

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾[١].

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢].

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

١ـ المزمل: ٩.

٢ـ الأنعام: ١٦٤.

٣ـ الجاثية: ٣٦.

والرب في هذه الآيات يعني المالك. يقول تعالى:

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٢].

٢ ـ والله تعالى خلق الأرض للإنسان. يقول تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[٣].

٣ ـ وسخر الأرض والسماء للإنسان. يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[٤].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ﴾[٥].

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[٦].

١ـ الحديد: ٢.

٢ـ النور: ٤٢.

٣ـ البقرة: ٢٩.

٤ـ لقمان: ٢٠.

٥ـ إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٣.

٦ـ النحل: ١٤.

٤ ـ وأباح الله تعالى لنا التصرف في ملكه. يقول تعالى:

﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا في مَنَاكِبهَا﴾[1].

﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ من رِّزْقِ اللَّه وَلاَ تَعْثَوْاْ في الأَرْضِ مُفْسدينَ﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ ممَّا في الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً﴾[3].

﴿الْيَوْمَ أُحلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾[4].

﴿فَانكحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾[5].

٥ ـ ولم يطلق الله تعالى أيدي عباده في التصرف في ملكه، وإنما حدّدهم بحدود عرّفها لهم، وأباح لهم التصرف ضمن هذه الحدود، وحرّم عليهم التصرف في ملكه خارجها. يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنبُوهُ﴾[6].

١ـ الملك: ١٥.

٢ـ البقرة: ٦٠.

٣ـ البقرة: ١٦٨.

٤ـ المائدة: ٥.

٥ـ النساء: ٣.

٦ـ المائدة: ٩٠.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخنزِيرِ وَمَا أُهلَّ بِه لغَيْرِ اللّه﴾[1].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْت...﴾[2].

﴿وَذَرُواْ مَا بَقيَ منَ الرِّبَا﴾[3].

﴿وَذَرُواْ ظَاهرَ الإِثْمِ وَبَاطنَهُ﴾[4].

٦ ـ ونهانا الله تعالى عن تجاوز حدوده. يقول تعالى:

﴿تلْكَ حُدُودُ اللّه فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّه فَأُوْلَئكَ هُمُ الظَّالمُونَ﴾[5].

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّه فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[6].

﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخلْهُ نَارًا خَالدًا

١ـ البقرة: ١٧٣.

٢ـ النساء: ٢٣.

٣ـ البقرة: ٢٧٨.

٤ـ الأنعام: ١٢٠.

٥ـ البقرة: ٢٢٩.

٦ـ الطلاق: ١.

فِيهَا﴾[1].

٧ ـ والالتزام بحدود الله تعالى والعمل والتحرك والتصرف داخل هذه الحدود، وعدم تجاوز هذه الحدود هي (التقوى)، وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن التقوى، فقال: «ألاّ يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك»[2].

٨ ـ والعصيان هو تجاوز الحدود الإلهية. يقول تعالى: **﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾**[3].

العصيان في مقابل التقوى، فإن التقوى هي الالتزام بالحدود الإلهية، والعصيان هو الخروج من حدود الله، وهو الذنب والفجور والمشاقّة.

٩ ـ إن رسالة الدين في حياة الإنسان هي تحديد منطقة الرخصة التي يجوز للإنسان أن يتحرك فيها.

١ـ النساء: ١٤.

٢ـ بحار الأنوار ٦٧: ٢٨٥.

٣ـ النساء: ١٤.

وبهذه الحدود يعرف الإنسان ما يجوز له وما لا يجوز في دين الله، وهي حدود دين الله تعالى.

روى البرقي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إن للدين حدّاً كحدود بيتي هذا، وأومأ بيده إلى جدار فيه»[1].

وعن الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلاّ وله حد كحدود داري هذه، فما كان في الطريق فهو من الطريق، وما كان في الدار فهو من الدار»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلاّ وله حد كحدود داري هذه ما كان منها من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار، حتى أرش الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة»[3].

وعن أبي لبيد، عن أبي جعفر عليه السلام، أنه أتاه رجل بمكة فقال

١ـ بحار الأنوار ٢: ١٧١ ح٦.

٢ـ المصدر السابق ح٧.

٣ـ المصدر السابق ح٨.

له: «يا محمد بن علي، أنت الذي تزعم أنه ليس شيء إلاّ وله حد؟ فقال أبو جعفر: نعم، أنا أقول: إنه ليس شيء مما خلق الله صغيراً وكبيراً إلاّ وقد جعل الله له حدّاً، إذا جاوز به ذلك الحد فقد تعدّى حد الله فيه. فقال: فما حد مائدتك هذه؟ قال: تذكر اسم الله حين توضع، وتحمد الله حين ترفع، وتقم ما تحتها»[1].

إذن مهمة الدين تنظيم حياة الإنسان ضمن الحدود والضوابط التي تقررها الشريعة.

وهذه الحدود هي الحرمات التي حظرها الله على الناس.

فأباح الله تعالى لهم ما يقع ضمن هذه الحدود، ورخص لهم فيه، وحرّم عليهم أن يرتكبوا ما حرّمه الله تعالى عليهم، وأن يتجاوزوا ويتعدوا حدود ما أباح الله تعالى لهم إلى ما حرّمه عليهم.

١٠ ـ الحدود والفرائض. وإلى جانب الحدود شرع الله تعالى على عباده فرائض وواجبات، كالصلاة والصوم والحج والجهاد

١ـ المصدر السابق ح١٠.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى:

﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[2].

﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[3].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾[4].

﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[5].

والشريعة هي مجموعة الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده، والحدود التي حرمها الله عليهم، وحدد بها ما أحلّه على الناس وما حرمه عليهم.

فأوجب الله تعالى مثلاً على الناس الأمر بالمعروف والنهي

١ـ البقرة: ٤٣.

٢ـ البقرة: ١٨٣.

٣ـ آل عمران: ٩٧.

٤ـ آل عمران: ١٠٤.

٥ـ التوبة: ٤١.

عن المنكر والنصيحة والتعليم والإرشاد الواجبين.

وهما مما فرضه الله تعالى على الناس من الكلام، ثم أباح لهم أن يتكلموا وجعل للكلام الذي رخص فيه حدوداً.

منها ألا يكون كذباً، وألا يكون غيبة، وألا يكون تشهيراً وتسقيطاً، وألا يكون همزاً ولمزاً، وألا يكون شتماً ولعناً.

وهذه هي الحدود التي رسمها الله تعالى للناس في الكلام.

ففي الكلام إذن واجبات وفرائض وحدود ومحرمات.

والدين هو مجموعة (الفرائض) و(الحدود) التي أمر الله تعالى بها الناس ونهاهم عنها.

وقد بيّن الله تعالى لنا في كتابه طائفة مما فرضه على العباد ومما حرمه عليهم. يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[1].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[2].

١ـ البقرة: ١٧٨.

٢ـ البقرة: ١٨٠.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[1].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[2].

وعن المحرمات يقول تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

١١ ـ شمولية الحدود والفرائض. وتشمل الفرائض والحدود الإلهية كل ما يحتاجه الإنسان في تكامله وحركته إلى الله.

١ـ البقرة: ١٨٣.

٢ـ البقرة: ٢١٦.

٣ـ الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٢.

وما من شيء يقرب الإنسان إلى الله، ويبعده عن (الأنا) و(الهوى)، إلاّ وقد شرعه الله تعالى لعباده فيما شرع لهم من الحدود والفرائض.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته في حجة الوداع: أيها الناس، إتّقوا الله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار، إلاّ وقد نهيتكم عنه وأمرتكم به»[1].

١٢ ـ منطقة الرخصة والتقوى ومنطقة الحظر: إذن مساحة الحياة تنشطر إلى منطقتين: منطقة (الرخصة)، ومنطقة (الحظر).

ومنطقة الرخصة هي المساحة التي أباحها الله تعالى لعباده وحللها لهم، من الأكل والشرب والزواج والتمتع بالطيبات والتجارة والسياسة والرياضة والعلاقات الاجتماعية وما يتصل بذلك.

ومنطقة الحظر هي المنطقة التي حرمها الله تعالى ونهى عنها، كالربا والفحشاء، والغيبة، واللهو المحرّم، والظلم، والعدوان،

١ـ بحار الأنوار ٢: ١٧١ ح١١.

وأكل الميتة ولحم الخنزير، وشرب الخمر، والخيانة، والغش، وما يشبه ذلك مما حرمه الله.

١٣ ـ خصائص المنطقتين:

ولكل من هاتين المنطقتين خصائص وآثار في حياة الإنسان، وهذه الخصائص والآثار تعم الدنيا والآخرة.

والله تعالى يقول عن آثار العيش في منطقة الرخصة والتقوى:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[1]. ويقول تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾[2].

وعن علي عليه السلام: «لو حفظتم حدود الله لعجّلَ لكم من فضله الموعود»[3].

وعن العيش في منطقة الحظر يقول تعالى:

١ـ الطلاق: ٢ ـ ٣.

٢ـ الأعراف: ٩٦.

٣ـ عيون الحكم والمواعظ: ٤١٧.

﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾[1].

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[2].

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3].

وفيما يلي نوضح ونشرح خصال وخصائص منطقة التقوى:

١ـ النساء: ١٤.

٢ـ الطلاق: ١.

٣ـ البقرة: ٢٢٩.

خصائص التقوى

الخصلة الأولى:

أنها تنسجم مع فطرة الإنسان، فإن الله تعالى هو الذي ركّب فطرة الإنسان وخلقها، وهو أعلم بها من غيره، وهو الذي شرّع هذا الدين ورسم للإنسان حدود الحلال والحرام.

ومن الطبيعي أن تكون هذه الحدود التي شرعها الله منسجمة مع الفطرة التي خلقها. يقول تعالى عن التطابق بين فطرة الإنسان ودين الله: **﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾**[1].

فإذا استسلم الإنسان للهوى، وخرج من حدود الله تعالى كانت مصيبته الأولى في نفسه، وهي محنة التناقض وعدم الانسجام بين حياته التي يعيشها خارج نفسه والفطرة التي ركبها الله تعالى في نفسه.

١ـ الروم: ٣٠.

الخصلة الثانية:

إنّها منطقة آمنة لا يخترقها الشيطان ولا ينفذ إليها الهوى.

وإذا حصّن الإنسان نفسه بحدود الله تعالى فلم يتجاوزها، أمن من سلطان الشيطان على نفسه ومن نفوذ الهوى. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1].

فلا يستطيع الشيطان أن يقتحم عليهم حدود الله التي تحصنوا بها، وإنما يمسّهم من بعيد طائف منه، فإذا مسّهم من الشيطان طائف تذكروا سريعاً، وكأن إنذاراً مبكراً ينذرهم وينبههم بالعدو ليأخذوا حذرهم منه.

وبعكس ذلك فإن هذه المنطقة الخارجة عن حدود الله تعالى منطقة غير أمينة وغير حصينة، ومعرضة لغزو الهوى والشيطان.

والإنسان في هذه المنطقة مكشوف تماماً لغزو الهوى والشيطان.

١ـ الأعراف: ٢٠١.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اعلموا عباد الله، أن التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يحرز من لجأ إليه».

ويقول عليه السلام: «إن التقوى في اليوم الحرز والجنة، وفي غد الطريق إلى الجنة، مسلكها واضح، وسالكها رابح».

وعنه عليه السلام أيضاً: «التقوى حصن حصين لمن لجأ إليه».

وعنه عليه السلام أيضاً: «أمنع حصون الدين التقوى».

وعنه عليه السلام أيضاً: «إلجأوا إلى التقوى؛ فإنه جنة، من لجأ إليها حصّنته، ومن إعتصم بها عصمته»[1].

والتقوى ضمن حدود الله تعالى في الحلال والحرام، وهي دار حصن عزيز كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام.

والحصن العزيز هو الحصن الذي لا يتمكن العدو من النفوذ فيه.

والفجور، وهو تجاوز حدود الله تعالى، دار حصن ذليل ـ كما

١ـ راجع ميزان الحكمة ٤: ٣٦٢٧ باب التقوى.

يقول عليه السلام ـ والحصن الذليل هو الذي يسهل للعدو النفوذ فيه، والتسلق إليه.

إذن منطقة (الفجور) منطقة مكشوفة للشيطان والهوى، ومنطقة (التقوى) منطقة منيعة ومحمية وأمينة، لا يستطيع الشيطان أن يخترقها وينفذ إليها.

الخصلة الثالثة:

وليس شيء كالالتزام بحدود الله تعالى يقرّب الإنسان إلى الله تعالى.

وليس شيء يبعّد الإنسان عن الله ويحجبه عنه تعالى مثل العصيان وتجاوز حدود الله.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الوصية بالتقوى: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ، زاد مبلغ، ومعاذ منجح»[1].

وفي هذه الوصية يصف الإمام عليه السلام التقوى بوصفة (معاذ) يعيذ الإنسان من الشيطان، و(زاد) يوصل الإنسان إلى الله.

١ـ ميزان الحكمة ٤: ٣٦٢٥.

والتقوى معاذ منجح ـ كما يقول الإمام عليه السلام ـ وزاد مبلغ يبلغ الإنسان إلى الله، والطريق إلى الله شاق وعسير وطويل، ولابدّ في هذا الطريق من زاد، وخير الزاد التقوى.

يقول تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[1].

وبنفس المضمون يحدثنا أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً عن التقوى. يقول عليه السلام: «فأعتصموا بتقوى الله فإنّ لها حبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته»[2].

إن التقوى تشد الإنسان بالله تعالى شداً وثيقاً، فهي حبل وثيق عروته ـ كما يقول الإمام عليه السلام ـ وفي نفس الوقت هي معقل منيع، لا يستطيع الشيطان أن يقتحمه ولا أن ينفذ فيه.

الخصلة الرابعة:

إن في التقوى سعة، وفي الفجور ضيق، فإن مساحة حدود الله تسع الناس جميعاً، وتمكنهم من حقوقهم ومن الحياة الكريمة،

١ـ البقرة: ١٩٧.

٢ـ ميزان الحكمة ٤: ٣٦٢٧.

بينما يضيق الظلم والفجور بالناس، فإن الظلم الذي يمارسه الظالم لا محالة يرجع إليه بصورة أو أخرى. يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[1].

والعلاقة بين الظلم الصادر من الظالم للآخرين والظلم العائد إليه من أسرار هذا الدين، وليس هنا مجال الحديث عنه.

ولا يقتصر الأمر على ذلك، فإن الظالم حيث يسلب الأمن والتقوى من المجتمع، يسلب الأمن من نفسه بالضرورة، لأنه عضو في نفس المجتمع، ينعم بما ينعم به الآخرون، ويشقى بما يشقى به الآخرون.

ولذلك يقول تعالى عن قصاص القاتل:

﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ**﴾[2].

ورغم أن في القصاص هلاك القاتل وقتله، ولكن في هذا الهلاك حياة المجتمع وسلامته.

١ـ البقرة: ٢٢٩.

٢ـ البقرة: ١٧٩.

والقصاص حد من حدود الله، فإذا التزم الناس بهذا الحد الإلهي عاش الناس جميعاً في أمان وسلام، وإذا تخطوا هذا الحد فقدوا جميعاً الأمن والسلام في حياتهم.

وهذه (الحياة) هي التي يذكرها الله في كتابه:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[1].

ففي هذه الدعوة حياة المجتمع وإن كان يتضرر فيها الفرد أحياناً إلاّ أنه لا قيمة لمصلحة الفرد إذا كانت تضرّ بمصلحة المجتمع.

والمنطقة الداخلة ضمن حدود الله تسع الناس جميعاً، وبوسع الناس جميعاً أن يعيشوا في هذه المنطقة ضمن حدود الله، وأن ينعموا فيها بالأمن والسلام في دنياهم وآخرتهم.

وإذا وجد أحد في هذه المنطقة (الواسعة) ضيقاً، فخرج منه متعدياً حدود الله، وهو يتصور أن في تجاوز حدود الله سعة،

١ـ الأنفال: ٢٤.

فسوف يضيق به الظلم هذه المرة، وسوف يكون الظلم أضيق به من العدل.

وهذه من حقائق هذا الدين وأسراره، يقول تعالى:

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[1].

إن الذي يتعدى حدود الله ليوسّع على نفسه، فقد ظلم نفسه ـ كما يقول القرآن ـ وإن أوهمته أهواؤه أنه خرج بذلك من ضيق العدل إلى سعة الظلم، فإن هذا الظلم يصيبه أكثر مما يصيب الآخرين، ويهدم فطرته وضميره **أولاً**، وهو خسارة فادحة في شخصية الإنسان ويحجبه عن الله تعالى **ثانياً**، وهي خسارة أفدح من الخسارة الأولى، ويعود عليه الظلم **ثالثاً**. فإن الأمن الذي سلبه من المجتمع والفجور الذي مكنه من المجتمع يمسّه أيضاً كما يمس الآخرين، فإن الناس ينعمون جميعاً بالأمن ويشقون بالظلم، ولا يخرج الظالم نفسه من هذه القاعدة.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في سياق الثورة

١ـ الطلاق: ١.

الاجتماعية والإدارية، التي قام بها بعد مصرع الخليفة الثالث عثمان بن عفان في الأمر بالعدل والمنع من الظلم: «فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق»[1].

وقد أعلن الإمام هذه الحقيقة للناس عندما وجد بعض الناس في سياسة الإمام عليه السلام المالية ضيقاً، بالقياس إلى ما كانوا يجدونه في سياسة عثمان بن عثمان من قبل من الإسراف في الأموال، فبين لهم الإمام أن الذي يجد في العدل ضيقاً، ويتجاوز العدل إلى الظلم ليوسّع على نفسه، سوف يضيق بالظلم أكثر مما ضاق بالعدل.

ونحن لا نعرف هل كان الناس الذين خاطبهم الإمام عليه السلام يومئذ بهذا الخطاب يعرفون عمق هذا المفهوم الذي ألقاه عليه السلام يومئذٍ أم لا؟

ولكننا نعلم أن الإمام عليه السلام ألقى إليهم يومئذٍ مفهوماً من أعمق مفاهيم هذا الدين.

١ـ ميزان الحكمة ٣: ١٨٤٠.

فرغم أن منطقة (الرخصة) في هذا الدين محدودة بحدود الله من كل جانب، إلاّ أن في هذه المنطقة سعة للناس جميعاً، ومن ضاق عليه العدل والتقوى على سعتها، فسوف يضيق به الظلم والفجور لا محالة.

الخصلة الخامسة:

التيسير والتسهيل.

إن الحياة في المساحة التي تدخل ضمن حدود الله حياة مباركة، كثيرة البركات، ميسرة بعيدة عن التعقيدات، وعكس ذلك العيش خارج حدود التقوى، فهو مقرون بالعسر والضنك والشدة والتعقيد.

وقد قسم الله تعالى للناس من الرحمة، والبركة، والفرج، والتيسير، والتسهيل، في دائرة التقوى وضمن حدود الله، ما لا يرزقه أحداً خارج هذه المساحة.

وإليك بعض الشواهد على ذلك من كتاب الله:

أ ـ إن الله يفتح للناس بالتقوى أبواب الرحمة والبركة من الأرض والسماء. يقول تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾[1].

ب ـ ويرزقهم بالتقوى من حيث لا يحتسبون. يقول تعالى: ﴿**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾[2].

والذي يجعل الله له بالتقوى مخرجاً من كل ضيق، ورزقاً من كل فقر، من حيث لا يحتسب، لا يواجه في حياته فقراً وبؤساً، ولا يواجه طريقاً مسدوداً.

جـ ـ ويجعل الله تعالى لهم من أمرهم يسراً، كلما واجهوا في حياتهم عسراً وشدة. يقول تعالى:
﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾[3].

١ـ الأعراف: ٩٦.

٢ـ الطلاق: ٣.

٣ـ الطلاق: ٤.

د ـ ويجعل الله تعالى للناس في حياتهم بالتقوى فرجاً من كل ضيق، ومهما ضاقت عليهم مسالك الحياة فرّجها الله تعالى لهم بالتقوى. يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾[1].

وروي عن رسول الله ﷺ: «لو أن السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد، ثم اتقى الله لجعل له منهما فرجاً ومخرجاً»[2].

ولما ودع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أبا ذر رضي الله عنه عندما نفاه الخليفة الثالث إلى الربّذة، قال له: «يا أبا ذر، إنك غضبت لله، فارج من غضبت له... ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً. لا يؤنسك إلاّ الحق، ولا يوحشنك إلاّ الباطل»[3].

وعن الإمام الجواد عليه السلام: «إن الله عزّوجلّ يقي بالتقوى عن العبد ما عزب عنه عقله، ويجلي بالتقوى عنه عماه وجهله.

١ـ الطلاق: ٢.

٢ـ بحار الأنوار ٧٠: ٢٨٥.

٣ـ ميزان الحكمة ٤: ٣٦٣٢.

وبالتقوى نجا نوح ومن معه في السفينة، وصالح ومن معه من الصاعقة»[1].

الخصلة السادسة:

الأمن والسلام بين الناس.

الخصلة السادسة لمنطقة التقوى أنها منطقة أمينة ينعم فيها الإنسان بالأمن والسلام في الدنيا والآخرة. فإن الأمن الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في الدنيا يقوم غالباً على نوع العلاقة فيما بين الناس، فإذا كانت هذه العلاقة قائمة على أساس العدل والإنصاف والتقوى والتزام حدود الله، فإن الناس ينعمون في هذه الساعة بالأمن والسلام لا محالة.

عن رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه»[2].

١ـ ميزان الحكمة ٤: ٣٥٤٤.

٢ـ كنز العمّال ١: ١٥٠ ح٧٤٧.

وعن رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام»[1].

وعن رسول الله ﷺ: «المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله»[2].

إذن هذه المنطقة في حياة الناس منطقة أمينة حصينة. إذا دخلها الناس أمن بعضهم من بعض، وسلم بعضهم من بعض. ففي هذه المنطقة يأمن المسلم على نفسه من الغش والغدر والخيانة والكذب من ناحية أخيه المسلم.

وعن رسول الله ﷺ: «ليس منّا من غشّنا»[3].

ومن غرر خطب رسول الله ﷺ وروائع كلماته ما رواه ثقاة الرواة. فعن الإمام الصادق عليه‌السلام: «إن رسول الله ﷺ وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع، فقال:

أيها الناس، اسمعوا ما أقول لكم واعقلوا عني، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا.

---

١ ـ كنز العمال ١: ٩٣ ح٤٠٧.

٢ ـ مسند أحمد ٣: ٤٩١.

٣ ـ كنز العمال ٤: ٦٠ ح٩٥١١.

ثم قال: أي يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم. قال: فأي شهر أعظم حرمة؟ قالوا: هذا الشهر. قال: فأي بلد أعظم حرمة؟ قالوا: هذا البلد.

قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه، فيسألكم عن أعمالكم. ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد.

ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، فإنه لا يحل دم امرئ مسلم ولا ماله إلاّ بطيبة نفسه، ولا تظلموا أنفسكم ولا ترجعوا بعدي كفاراً»[1].

هذا عن الأمن (في الدنيا).

وأما عن الأمن (في الآخرة)، فليس يعيش أحد منطقة التقوى في الدنيا إلاّ ويرزقه الله تعالى الأمن في الآخرة، ويجعله يومئذ من الآمنين. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ**﴾[2]، ويقول

---

١ ـ الكافي ٧: ٢٧٣ ح١٢.

٢ ـ الدخان: ٥١.

تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

الخصلة السابعة:

أن باطن منطقة التقوى هو الجنة، وباطن منطقة الفجور هو النار، والذين يعيشون في دائرة حدود الله تعالى إنما يعيشون في الجنة، وهم لا يعرفون، والذين يعيشون خارج دائرة حدود الله تعالى، وفي مساحة الحرام والفجور إنما يعيشون في جهنم، وهم لا يعرفون. يقول تعالى عن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[2].

إن لأعمالنا ظاهراً وباطناً. ونحن لا نعرف من أعمالنا في هذه الدنيا إلاّ الوجه الظاهر منها، والله تعالى يخبرنا في كتابه عن

١ـ الأنعام: ١٢٧.

٢ـ النساء: ١٠.

الوجه الباطن منها، وباطن أكل أموال اليتامى هو أكل النار، كما أن باطن الغيبة هو أكل لحم الشخص، الذي يستغيبه الإنسان، ميتاً. يقول تعالى: ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1].

والروايات الواردة في تفسير هذه الآية الكريمة تؤكد هذا المعنى، كما أن باطن الأعمال الصالحة هو نعم الله تعالى ومواهبه في الجنة. ففي الآخرة لا يجد الناس في الجنة والنار إلاّ أعمالهم التي سبقتهم إليهما. يقول تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2].

إن القرآن يكاد أن يكون صريحاً في أن الناس يلقون أعمالهم بنفسها في الآخرة في الجنة والنار، ولكن بوجهها الحقيقي، وهو غير الوجه الذي كانوا يعرفونها بها في الدنيا.

١ـ الحجرات: ١٢.

٢ـ الزلزلة: ٦ـ٨.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيداً﴾[1].

وعليه فإن الوجه الباطن للأعمال الصالحة هو نعيم الجنة، والوجه الباطن للأعمال المحرمة هو عذاب النار.

بل الكافر نفسه وقود نار جهنم. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[3]. ويقول تعالى: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[4].

وجهنم محيطة بالكافرين في الدنيا، ولا يغيّر هذه الحقيقة

١ـ آل عمران: ٣٠.

٢ـ آل عمران: ١٠.

٣ـ البقرة: ٢٤.

٤ـ التحريم: ٦.

الكبرى أن الكافرين لا يشعرون بأن جهنم محيطة بهم في دنياهم قبل الآخرة. يقول تعالى: ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[1].

وهذه الآية الكريمة من سورة العنكبوت ذات دلالة عميقة، فإن الكفار كانوا يتحدّون النبي ﷺ ويستعجلون بعذاب النار التي يوعدهم رسول الله ﷺ بها، وهم لا يعلمون أن جهنم محيطة بهم في دنياهم قبل الآخرة.

حوار أصحاب الجنة والنار

وكما في الدنيا يتحاور أصحاب الجنة وأصحاب النار، كذلك في الآخرة يحاور أصحاب الجنة أصحاب النار وبينهما حجاب.

ففي الدنيا قد يتحاور أصحاب الجنة وأصحاب النار في أسرة واحدة، وفي محل واحد، وتحت سقف وحد وبينهما حجاب،

١ـ التوبة: ٤٩.

كذلك في الآخرة يحاور أصحاب الجنة أصحاب النار وبينهما حجاب.

والقرآن يعكس طرفاً من هذا الحوار الذي يجري في الآخرة بين الطائفتين، كما كان يجري في الدنيا، والحجاب القائم بينهما في الآخرة هو نفس الحجاب الذي كان يقوم بينهما من قبل في الدنيا:

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾[1].

الخصلة الثامنة:

إن حدود الله تربة صالحة لنمو المواهب التي أودعها الله تعالى في خلق الإنسان، وتختلف هذه الخصلة عن سابقتها، ففي

١ـ الأعراف: ٤٤ ـ ٤٥.

الخصلة السابقة ذكرت أن الالتزام بحدود الله يستنزل رحمة الله تعالى الإنسان. يقول تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾**[1].

وهذه بركات ورحمة يفتحها الله تعالى على الناس من داخل المجتمع، إذا عملوا والتزموا بحدود الله. يقول تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ﴾**[2]. فإن هذه الحياة التي يمنحها الله تعالى للناس ـ إذا أخذوا بحدود الله في الجرائم والقصاص ـ نابعة من داخل الحياة الاجتماعية.

وهناك مواهب وبركات ورحمة أودعها الله تعالى في فطرة الإنسان وداخل نفسه، يفجرها ويستخرجها الالتزام والعمل بحدود الله تعالى وفرائضه وأحكامه. وإليكم الشواهد على ذلك:

١ ــ إن الإنفاق في سبيل الله ينمي في نفس الإنسان حالة (العطاء) و(الإخلاص)، وهما من المواهب التي أودعها الله تعالى

١ـ الأعراف: ٩٦.

٢ـ البقرة: ١٧٩.

في نفس الإنسان، يفجرهما ويستخرجهما وينمّيهما الإنفاق في سبيل الله، كما أن العمل في سبيل الله ـ أي عمل ـ ينمّي حالة (الإخلاص) و(قصد القربة) في نفس الإنسان.

٢ـ والصلاة تنمي في نفس الإنسان حالة (الذكر)، و(ذكر الله) من الكنوز التي أودعها الله في نفس الإنسان، والصلاة تفجره وتستخرجه وتنميه. يقول تعالى ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾.

٣ ـ و(التذكّر) بمعنى (الانتباه) و(الحذر) من شراك الشيطان ومن الأهواء والفتن، حالة أودعها الله تعالى داخل النفس في أصل الخلقة، والإنسان بفطرته حاذر متذكر منتبه للخطر، ولكن هذه الموهبة قد تخمد جذوتها، فإذا اتقى الإنسان الله تعالى وأخذ بالتقوى تذكّر وتنبّه للخطر بصورة مبكرة. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾[1].

أرأيت أجهزة الإنذار المبكر التي تنذر الإنسان مباغتات

١ـ الأعراف: ٢٠١.

العدو؟

كذلك التقوى تبعث في نفس الإنسان حالة (التذكر) و(الانتباه) للخطر وتنذره.

هذه الحالة كامنة في نفس الإنسان بالفطرة، ولكن التقوى تفجّرها وتستخرجها وتنمّيها.

٤ ـ و(التعفّف) حالة كامنة في داخل النفس، ولكنها تظهر وتنمو كلّما كف الإنسان فرجه ويده ولسانه عن الحرام.

٥ ـ و(البصيرة) نور أودعها الله تعالى في نفوس الناس بالفطرة، ولكن هذا النور قد يخبو ويفقد إشراقه، حتى ينفد وينتهي تماماً، ويتحول إلى ظلمات بعضها فوق بعض، فإذا اتقى الإنسان الله تعالى وأخذ بالتقوى أعاد الله إليه هذا النور، وتفجّر في داخل نفسه. يقول تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً**﴾[1].

و(الفرقان) بصيرة في نفس الإنسان، يعرف الإنسان به الحق

١ـ الأنفال: ٢٩.

من الباطل، والهدى من الضلال، فإذا فقد الإنسان هذه البصيرة، فلا يفرق بين الهدى والضلال والحق والباطل. يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «للمتقي هدى في رشاد، وتحرج من فساد، وحرص في إصلاح العباد»[1].

ويقول عليه السلام في علامات أهل التقوى: «إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، ...وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الحلم، وإتباع العلم فيما يقرب إلى الله عزّوجلّ»[2].

وهذه الخصال التي يذكرها الإمام عليه السلام كما هي علامات للتقوى كذلك هي آثار ونتائج لها تظهر داخل النفس وتنمو.

وهذه الخصلة التي ذكرناها للالتزام بحدود الله تعالى والأخذ بها، هي روح خطبة المتقين المعروفة لأمير المؤمنين عليه السلام في جواب سؤال همام رحمه الله: «فالمتقون فيها هم أهل الفضائل. منطقهم

١ـ ميزان الحكمة ٤: ٣٦٢٨.

٢ـ الخصال للشيخ الصدوق: ٤٨٣.

الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع. غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم.. قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة.. أمّا الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلاً.. وأما النهار فحلماء أبرار أتقياء. قد براهم الخوف بري القداح..».

وهذه خصائص وخصال في النفس تفجّرها التقوى وتستخرجها وتنمّيها، يشير إليها الإمام علي عليه السلام في هذه الخطبة الشريفة منها صواب المنطق، والاقتصاد في الملبس، والتواضع في المشي، وغض الأبصار عن الحرام، ووقف الأسماع على العلم النافع، وعظم الخالق في النفوس، وحقارة ما دونه، والحزن في القلوب، وكف الشرور والأذى عن الناس، وعفة النفوس، والحلم والعلم والبر، والخوف من الله. كل ذلك وغيره من آثار التقوى.

تجاوز حدود الله

يستعمل القرآن كلمة العدوان على حدود الله بمعنى تجاوزها واختراقها.

ومن يتجاوز حدود الله يظلم نفسه، وذلك أن الله تعالى حدّ هذه الحدود لمصلحة الإنسان، ومن يتجاوز حدود الله يتجاوز ما يصلحه وينفعه، ويتجاوز حدود العبودية لله تعالى، وكل منهما من ظلم الإنسان لنفسه. يقول تعالى:

﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّه فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[1].

﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّه فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾[2].

﴿**وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا**﴾[3].

١ـ البقرة: ٢٢٩.

٢ـ الطلاق: ١.

٣ـ النساء: ١٤.

المتاخمة لحدود الله

والحالة الأخرى التي ينهى القرآن عنها هي حالة المتاخمة لحدود الله، وهي أن يتحرك الإنسان بالقرب من منطقة الحرام، وهذه المنطقة غير آمنة بالطبع، وقد نهانا الله تعالى عن القرب من حدوده.

قال تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللّه فَلاَ تَقْرَبُوهَا**﴾[1].

والخطر الذي يهدد الإنسان في هذه المنطقة على نحوين، فقد يختلط في هذه المنطقة الحلال بالحرام نتيجة للقرب من حدود الحرام، فيرتكب الإنسان الحرام من حيث لا يعلم، وهذه هي منطقة الشبهة التي ينزلق فيها الإنسان إلى الحرام نتيجة للجهل وعدم التمييز وعدم الاحتياط والتحفظ من الحرام، كما يحصل ذلك في معاملات الصرف والقروض المتاخمة للربا. يقول الإمام الحسن عليه السلام عن هذه المنطقة: «وأعلم أن في حلالها

١ـ البقرة: ١٨٧.

حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب»[1].

والنحو الآخر من خطر المتاخمة لحدود الله خطر الانـزلاق إلى الحرام والسقوط فيه، فإن جاذبية الحرام تزداد كلما قرب الإنسان من مصدر الحرمة، فتسلبه الإرادة والعقل، وينزلق إلى الحرام، ولا يقوى على دفع إغراء الفتنة وثورة الهوى عن نفسه.

والسبب في ذلك قوة جاذبية الحرام من جانب، وسهولة الانزلاق إلى الحرام من جانب آخر في هذه المنطقة.

ولذلك حرّم الإسلام خلوة الرجل بالأجنبية إذا كانت مثاراً للفتنة.

إن هذه المنطقة تقع تحت سلطان الشيطان المباشر، وهي منطقة سهلة الانزلاق، وغير أمينة، لولا أن تتدارك العبد رحمة من عند الله.

ولذلك سيج القرآن مناطق الحظر بسياج واقٍ يقي الإنسان من الشيطان، فأمر النساء ألا يضربن بأرجلهن ليبدين زينتهن، وأمر

1ـ بحار الأنوار ٤٤: ١٣٩ ح٦.

الرجال والنساء أن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ... * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[1].

وهذه الاحتياطات جميعاً لكي لا يقع الإنسان في شرك الشيطان في مناطق الاحتكاك غير الأمينة بين الجنسين، وعلى الشريط الحدودي للمناطق المحرمة، حيث تقوى جاذبية الحرام، ويقوى دور الشيطان، ويسهل الانزلاق إلى الحرام.

سياج الحدود الإلهية

الحدود المحرمة والخطرة تسيّج عادة بسياج واقٍ، يقي الناس من الدخول في المنطقة المحرمة، كما أنها تُعلّم بعلامات يهتدي بها الناس. فلحدود الله علامات ومعالم من جانب، وسياج واقٍ من جانب آخر.

1ـ النور: ٣٠ ـ ٣١.

أما معالم الهدى على هذه الحدود فهم الصالحون من عباد الله، الذين أنعم الله عليهم بنعمة الهداية، فقد جعلهم الله تعالى أدلاء على صراطه وحدوده، ودعانا إلى أن نأخذ بطريقهم ونسير على صراطهم ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾.

وأما السياج الذي يقي الناس من السقوط في الحرام على هذه الحدود فثلاثة: سياج في النفس، وسياج في المجتمع، وسياج في النظام.

أما السياج في النفس (التقوى)؛ فإن التقوى تقي الناس من السقوط في المعاصي.

وأما السياج في المجتمع (فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فإن هذه الفريضة تحفظ المجتمع من السقوط في الحرام، وتحفظ حدود الله تعالى.

وأما السياج الثالث فهو نظام الرقابة الاجتماعية، والحسبة التي تضطلع بها الدولة في الإسلام.

التقوى السياج العازل على حدود الله

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم، فأخذوا الراحة بالنصب، والري بالظماء، واستقربوا الأجل فبادروا العمل»[1].

وهذه الحقيقة من أمهات الحقائق والمعارف في هذا الدين. إن تقوى الله تحفظ الناس من السقوط في معصية الله، وليس شيء كالتقوى يحفظ الإنسان من الحرام، فإذا وقى الإنسان نفسه بالتقوى، فلا سبيل للشيطان إلى نفسه ولا سلطان للأهواء والفتن والشيطان عليه. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم، إن امن صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات، حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات»[2].

والإمام عليه السلام يجعل ذمته في هذه الكلمة رهينة بهذه الحقيقة،

١ـ نهج البلاغة، خطبة: ١١٤.

٢ـ المثلات: العقوبات. نهج البلاغة، خطبة: ١٦.

وهي أن التقوى تحجز الإنسان عن تقحم الشبهات.

وقد سئل الإمام الصادقعليه السلام عن تفسير التقوى، فقالعليه السلام: «ألاّ يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك»[1].

التقوى الحصن المانع

وكما أن التوقي سياج واقٍ، كذلك هي حصن يمنع الشيطان من البطش بالإنسان، ولا يستطيع أن يقتحم على الإنسان هذا الحصن، ولا يتمكن أن ينفذ إليه. وإليك طائفة من كلمات أميرالمؤمنينعليه السلام بهذا الصدد:

«التقوى حصن حصين لمن لجأ إليه». «التقوى حرز لمن عمل بها». «التقوى أوثق حصن وأوقى حرز». «أمنع حصون الدين التقوى». «إلجأوا إلى التقوى فإنه جنة منيعة، من لجأ إليها حصّنته، ومن اعتصم بها عصمته»[2].

١ـ بحار الأنوار ٦٧: ٢٨٥.

٢ ـ راجع ميزان الحكمة ٤: ٣٦٢٧ باب التقوى.

المزالق والعواصم

وما دمنا بصدد الحديث عن حدود الله تعالى، والعواصم التي تعصم الإنسان على حدود الله من الوقوع في الحرام، والمزالق التي ينزلق عليها الإنسان إلى الحرام، فلا بأس أن نشير إلى طائفة من العواصم والمزالق من خلال النصوص الإسلامية.

ومعرفة العواصم والمزالق تنفع الإنسان في تقويم سلوكه والحذر من الوقوع في معصية الله، وتحصين نفسه من إغراءات الفتن والشيطان وضغوط الهوى.

وإليك طائفة من المزالق والعواصم. ونقدم المزالق على العواصم:

أ. المزالق

١ ـ من المزالق **التفكير في الحرام**. وقد ورد النهي عنه في النصوص الإسلامية. فإن التفكير في الحرام يلوث جو النفس ويسلبها المناعة، ويمكّن الشيطان من استدراج الإنسان إلى

الحرام.

روي أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول: «إن موسى أمركم ألا تقربوا الزنا، وأنا آمركم ألا تحدثوا أنفسكم بالزنا، فإن من حدث نفسه بالزنا كان كمن قد أوقد ناراً في بيت مزوق[1]، فأفسد التزاويق الدخان، وإن لم يحترق البيت»[2].

وهو تعبير جيد عن تلوث جو النفس بالتفكير في الحرام، ومتى تلوثت النفس فقدت مناعتها من جانب، وفقدت شفافيتها وصفاءها من جانب آخر.

وعن الصادق عليه السلام: «إن المؤمن لينوي الذنب فيحرم الرزق»[3].

٢ ـ ومن مزالق الإنسان إلى الحرام **أصدقاء السوء**. فإن دور الصديق السيئ في استدراج الإنسان إلى الحرام والسقوط في معصية الله ونقل الأمراض الأخلاقية دور مؤثر وقوي.

١ـ مزوق: مزين ومزخرف. والتزاويق: جمع تزويق، وهو التحسين والتزيين.

٢ـ بحار الأنوار ١٤: ٣٣١.

٣ـ بحار الأنوار ٧٣: ٢٥٨.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تصحب الشرير، فإن طبعك يسرق من طبعه شراً وأنت لا تعلم**»[1].

وعن الإمام الجواد عليه السلام: «إياك ومصاحبة الشرير، فإنّه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره»[2].

وعن علي عليه السلام: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نلقي أهل المعاصي بوجوه مكفهرة»[3].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «المرء على دين خليله وقرينه»[4].

وفي وصية أمير المؤمنين للحسن عليهما السلام: «وإياك ومواطن التهمة، والمجلس المظنون به السوء، فإن قرين السوء يغرّ جليسه»[5].

٣ ـ **الوسط الاجتماعي الفاسد**. فإن له دوراً كبيراً في إفساد الإنسان وتلويثه.

---

١ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٧٢.

٢ ـ بحار الأنوار ٧١: ١٩٨.

٣ ـ المكفهر: العبوس، الكافي ٥: ٥٩ ح ١٠.

٤ ـ الكافي ٢: ٣٧٥ ح٣.

٥ـ غرّه: خدعه وأطمعه بالباطل. وسائل الشيعة ١٢: ٣٧ ح ٤.

وقدرة الوسط الاجتماعي قدرة قاهرة تستهلك الكثير مما يملك الإنسان من حصانة وقيم، ولذلك ورد التحذير في النصوص الإسلامية من اختيار الأوساط الاجتماعية الفاسدة للسكن.

٤ ـ **استصغار اللَّمَم من الذنوب**، وهي الذنوب التي يستصغرها الناس، فيتجرأ الإنسان على العصيان.

٥ ـ اختلال الموازنة بين الخوف والرجاء، حيث يطغى الرجاء في النفس فيستهين الإنسان بالذنب ويتجرأ على المعصية.

٦ ـ **الترف في المعيشة** حتى من الحلال. فإن الترف يضعف مقاومة الإنسان لضغوط الهوى وإغراءات الفتن.

٧ ـ **الخلوة بالمرأة الأجنبية**، ومحادثة النساء ومخالطتهن. وقد ورد النهي في النصوص عن ذلك، وورد أنه يورث قساوة القلب، ويسلب الإنسان حالة الرقة والشفافية والصفاء في النفس.

٨ ـ **الغضب** وسائر الانفعالات النفسية. وقد ورد في النصوص الإسلامية التحذير من الغضب والانفعالات النفسية الحادة، وأنه الفرصة التي يقتحم فيها الشيطان على نفس الإنسان.

ب. العواصم

وهي الأمور التي تعصم الإنسان من الانزلاق إلى الحرام، وتمكنه من السيطرة على الأهواء والفتن، وتمنع الشيطان عنه.

وهي كثيرة نشير إلى بعضها:

١ ـ الصلاة.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ**﴾[١].

٢ ـ الصوم.

وقد ورد في النصوص الإسلامية أن «الصوم جنة»[٢] تحمي الإنسان وتحفظه من الشيطان.

٣ ـ ذكر الله.

٤ ـ مصاحبة الصالحين.

فكما أن مصاحبة أصدقاء السوء من المزالق، فإن مصاحبة الصالحين الذين يذكّرون الإنسان بالله تعالى من العواصم التي

---

١ ـ العنكبوت: ٤٥.

٢ ـ الكافي ٤: ٦٢ ح٣.

تعصم الإنسان من الأهواء والفتن.

٥ ــ قراءة القرآن.

وقد ورد في النصوص الإسلامية التأكيد على قراءة القرآن، وأنها تحفظ الإنسان من إغراءات الشيطان ووساوسه ومن ضغوط الهوى.

٦ ــ الوسط الصالح والبيئة الصالحة.

فكما أن الوسط الفاسد والبيئة الفاسدة من المزالق، فإن الوسط الصالح والبيئة الصالحة من العواصم التي تعصم الإنسان من المحرمات.

٧ و٨ ــ المحاسبة والمراقبة.

وقد ورد في النصوص الإسلامية التأكيد عليهما، وأنه «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم..»[1]. وهما من أقوى عوامل الضبط في سلوك الإنسان.

٩ ــ مجالس الوعظ والتذكير.

١ ـ الكافي ٢: ٤٥٣ ح٢.

١٠ ــ ترويض النفس في الحلال.

حتى لا تنقاد لصاحبها في الحرام. قال الإمام علي عليه السلام: «من ذكر الله استبصر»[1].

۞

١ ـ ميزان الحكمة ٢: ٩٧٠.

تخطي حدود اللّه
وجزاء من يتخطى حدود اللّه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَـدَّ حُـدُودَهُ
يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

النساء: ١٤

﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

نتحدّث عن هذه الآية الكريمة ـ إن شاء الله تعالى ـ ضمن ثلاث نقاط:

الأُولى: الحدود الإلهية.

الثانية: تخطّي الحدود الإلهية.

الثالثة: جزاء من يتخطّى حدود الله.

وفيما يلي تفصيل هذه النقاط الثلاثة:

النقطة الأُولى: الحدود الإلهية

حدّد الله تعالى المساحة التي يتصرف فيها الإنسان في الدنيا من المطاعم، والمشارب، والمناكح، والتجارة، والتصرف في الأموال والثروات الطبيعية، والإدارة، والسياسة، والعلاقات، والمعاملات.

فبيّن الله تعالى الطعام الحلال من الحرام. وبيّن للناس ما يحلّ

شربه وما لا يحل، وبيّن تعالى ما يحلّ التصرف فيه من الأموال وما لا يحلّ، وما يجوز من المناكح وما لا يجوز.

وهذه هي مساحة الرخصة والحلال في حياة الناس. والالتزام بحدود الله تعالى في هذه الساحة من أفضل الأعمال، وهو الورع والتقوى.

كما إن تخطي حدود الله والخروج عن هذه المساحة من أقبح الأعمال، وهو الذنب والمعصية.

يقول تعالى عن مساحة الحلال والرخصة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً﴾[1].

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا﴾[2].

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾[3].

﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾[4].

---

١ ـ البقرة: ١٦٨.

٢ ـ المائدة: ٨٨.

٣ ـ المائدة: ٥.

٤ ـ النساء: ٣.

ويقول تعالى عن حدود الحرام:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ﴾[3].

وهذه هي حدود الله.

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلاّ وله حدّ كحدود داري هذه، فما كان في الطريق فهو من الطريق وما كان في الدار فهو من الدار»[4].

١ ـ البقرة: ١٧٣.

٢ ـ المائدة: ٩٠.

٣ ـ النساء: ٢٣.

٤ ـ بحار الأنوار ٢: ١٧٠ ح٧.

ثلاث نقاط في منطقة الحلال وحدودها:

١ ـ منطقة الرخصة والحلال في حياة الإنسان تستوعب كل حركة الإنسان، ولا تضيق بحركته. وقد جعل الله تعالى في الرزق الحلال سعة لمن يطلب الرزق، وجعل في الموقع الحلال سعة لمن يطلب الموقع، يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «فأن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق»[1]

وهذه مسألة هامة في معرفة الحلال والحرام في دين الله. فإن في الحلال سعة عن الحرام، ولم يحوج الله تعالى عباده إلى الحرام، إذا اخذوا بالحلال.

٢ ـ ليس في حدود الله سبحانه وتعالى حرج ولا ضيق على عباده. يقول تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2].

﴿مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾[3].

١ ـ نهج البلاغة: خطبة ١٥.

٢ ـ الحج: ٧٨.

٣ ـ المائدة: ٦.

٣ـ إنَّ المساحة المحلّلة والمساحة المحرمّة في حياة الإنسان هما المساحة الصالحة والمساحة غير الصالحة للإنسان في نظام التكوين، قد يدركهما الإنسان وقد لا يدركهما، والنظام التشريعي مجموعة من الأحكام التشريعية تتطابق مع النظام التكويني الذي خلقه الله في هذا الكون، والذي شرَّع هذا الدين هو الذي خلق هذا الكون.

ونضرب على ذلك مثالا يوضح العلاقة بين النظام التكويني والنظام التشريعي. يقوم النظام الاجتماعي على أساس التفاهم والتسالم والتحابب، فاذا انتظمت العلاقات الاجتماعية فيما بين الناس على أساس التفاهم والمسالمة والتحابب سلمت الحياة الاجتماعية، وإذا دبَّ في حياة الناس سوء الظن والغيبة والحسد والحقد والضغينة، فسدت العلاقات الاجتماعية، واختلّت حياة الناس...

وهذا هو البعد التكويني للحياة الاجتماعية.

وفي البعد التشريعي يحرّم الله تعالى على الناس سوء الظن

والغيبة والحسد والحقد والضغينة... وبين هذا التشريع وذلك التكوين علاقة وثيقة وتطابق. ولا يصلح هذا النظام التكويني إلاّ بذلك النظام التشريعي.

النقطة الثانية: تخطّي الحدود الإلهية

من يتجاوز حداً من حدود الله فقد عصى الله تعالى. ومعصية الله ومشاقة الله من أقبح ما يفعله الإنسان، وليس فيما يفعله الإنسان شيء أفضل من أن يرضي الإنسانُ اللهَ، ولا أقبح من أن يسخط الإنسانُ اللهَ.

ويقبح الذنب من العبد، وأقبح ما في الذنوب أنّها معصية الله ومشاقته ومخالفته، وإعراض عن الله وابتعاد عنه.

إن ارتكاب المعصية:

١ ـ **مشاكسة وخصومة لله** رب العالمين من ناحية الإنسان وقد خلق الله تعالى الإنسان من نطفة من مني يمنى.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[1]

٢ ــ وطغيان على الله.

﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[2]

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3]

٣ ــ وقطيعة لله، وعما أمر الله به، ونقض لعهد الله.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[4].

﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ...﴾[5].

١ ـ يس: ٧٧.

٢ ـ العلق: ٦ ـ ٧.

٣ ـ المؤمنون: ٧.

٤ ـ الرعد: ٢٥.

٥ ـ المائدة: ٣٣.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1].

٤ ــ ومحادّة لله.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾[2].

٥ ــ ومشاقّة لله.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3].

٦ ــ النسيان لله. ﴿نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[4].

وما من شيء في الذنوب أقبح وأشد من أن يسخط الإنسان ربه ويخاصمه، ويطغى عليه، ويقاطعه، ويحاربه ويحادده ويشاققه، وينساه.

١ ـ البقرة: ٢٧٩.

٢ ـ التوبة: ٦٣.

٣ ـ الأنفال: ١٣.

٤ ـ التوبة: ٦٧.

وللمـذنبين يـوم القيامـة عقوبتـان: عـذاب الله، ومفارقـة الله، والـذي يحـادد الله ويقـاطع الله فـي الـدنيا، يعاقبـه الله يـوم القيامـة بفراقه وعذابه، وفراقه آلم من عذابه عند من تذوّق طعم التوحيد.

يقول إمام الموحّدين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«وهبني صبرت على حرّ نارك، فكيف اصبر على فراقك»[1].

والـذنوب تسـتبطن تحّـدياً لله، وإعراضـاً عـن الله، واسـتخفافاً بحكم الله بدرجة من الدرجات، وعى العبد ذلك، أم لم يَع.

وقد يتكرّر الذنب من العبد، وتتأكّد في نفسه حالـة الإعـراض عن الله والاستخفاف بأمر الله، فيغضب الله عليه، ولا يغفر له ذنبـه، نعوذ بالله من غضبه وسخطه.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«..ومن هَمَّ بسيئةٍ فلا يعملها؛ فانه ربما عمل العبد السـيئة فيـراه الله سبحانه، فيقول: لا وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً»[2].

---

١ ـ من الدعاء الذي علمه أميرالمؤمنين عليه السلام لكميل رحمه الله.

٢ ـ الكافي ٢: ١٤٢ ح٦.

وأكثـر مـا يبتلـى الإنسـان بالـذنوب خفافهـا ومحقّراتهـا. فقـد يمارسها العبد مستخفاً بها، وهو من الاستخفاف بحكم الله تعـالى، فيكون العبد عندئذ مُتعَرّضاً لغضب الله وسخطه.

عن زيد الشحام عن أبـي عبـدالله الصـادق: «اتقـوا المحقّـرات من الـذنوب فإنّهـا لا تغفـر. قلـت: ومـا المحقّـرات؟ قـال: الرجـل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك»[1].

النقطة الثالثة: جزاء من يتجاوز حدود الله

السيئة تعود إلى صاحبها في الدنيا والآخرة فتكون هي جزاؤه. ونحن قد نفهم العلاقة بين العمل والجزاء في الدنيا والآخرة، وقـد لا نفهم ذلـك... ولكـن تبقـى هـذه العلاقـة التكوينيـة بـين العمـل والجزاء ثابتة، فإذا شـرب الإنسـان السـمَّ مـات، وهـذا جـزاؤه فـي الدنيا، وإذا أشرك الإنسان إِنقطع عن الله، وهـو أعظـم مـا يمارسـه الإنسان من الظلم على نفسه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

---

١ ـ الكافي ٢: ٢٨٧.

والمجتمع الذي يمارس الغيبة وسوء الظن، والوشاية والكيد والمكر والبغضاء،... يتفتّت ويضعف، وهذا جزاؤه في الدنيا، وعلاقة هذا الجزاء بالعمل علاقة تكوينية.

وجزاء الآخرة لا يختلف عن جزاء الدنيا، إلاّ أننا لا نفهم طبيعة هذه العلاقة، والقرآن الكريم يسمي العمل الذي يصدر من صاحبه (كسباً)، وهو تعبير دقيق عن علاقة العمل بصاحبه من جانب، وعن علاقة العمل بالجزاء من جانب آخر، فإن أيَّ عمل يصدر عن صاحبه يكسبه صاحبه، إن كان خيراً أو شراً، وصدور العمل هو كسب العمل يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ**﴾[1]. ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾[2]. ﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾[3]. ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾[4].

---

١ ـ النساء: ١١١.

٢ ـ المدثر: ١٣٨.

٣ ـ الطور: ٢١.

٤ ـ الروم: ٤١.

فالعامل يكسب العمل لنفسه، ويحصّله لها، كما يكسب الإنسان الأخلاق الفاضلة من الفضلاء ورذائل الأخلاق من أصحابها، وكما يكسب الإنسان العلم، كذلك يكسب الإنسان عمله، إن كان عمله خيراً أو كان عمله شراً.

وكل عمل الإنسان مردود إليه، إن كان عمله إحساناً أو إساءة. يقول تعالى: ﴿**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾. واللاّم في كلمة (**لأَنفُسِكُمْ**) وكلمة (**فَلَهَا**) للاختصاص ـ كما نقول هذا المال لخالد ـ وليس للمنفعة في مقابل الضرر، بدليل أن المقابلة بينهما تقتضي استعمال كلمة (على) في مقام الضرر، وقد استعمل القرآن اللام في المقامين، في مقام النفع والضرر أيضاً، فقال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾.

إذن العقوبة من سنخ الذنب، وبين العقوبة والذنب علاقة تكوينية. وهذه العلاقة لا نفهمها نحن كثيراً، ولكن الوحي يكشف عنها.

فللجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وللعذاب المهين. علاقة تكوينية بعمل الإنسان، وهي عمل الإنسان يعود إلى الإنسان في الآخرة بهذه الصورة.

الفهرس